مجلة العلوم القانونية و الاجتماعية

Journal of legal and social studies

Issn: 2507-7333

Eissn: 2676-1742

دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية للطفل

(دراسة تحليلية وفق نموذج بيار بورديو)

The role of the family in the socialization of the child (Analytical study according to the Pierre Bordeaux model)

صلاح الدين روتال[1]*، ناصر قاسيمي[2].

[1] مخبر الدراسات السكانية و الصحة والتنمية المستدامة في الجزائر، جامعة البليدة 2 علي لونيسي (الجزائر) es.routal@univ-blida2.dz

[2] جامعة البليدة 2 علي لونيسي (الجزائر) kaciminasser@gmail.Com

تاريخ ارسال المقال: 2021/06/02	تاريخ القبول: 2021/08/01	تاريخ النشر: 2021/09/01

*المؤلف المرسل

الملخص:

إن عملية تربية الأبناء و تشكيل شخصياتهم و ضبط سلوكهم وفق الإطار الحضاري العام لمجتمع معين، وظيفة أساسية و مهمة خاصة بالأسرة أولا (الآباء) باعتبارها الوسط الأولي الذي يتواصل معه الطفل ثم تليها باقي المؤسسات داخل المجتمع التي تأتي وظيفة التنشئة الاجتماعية من مهامهما الأساسية كالروضة و المدرسة و جماعة الرفاق و المؤسسات الدينية...

و لقد صاغ بيار بورديو عدة مفاهيم لها علاقة وطيدة بموضوع دراستنا هاته و تعتبر أبحاثه و دراساته حول الرأس مال الثقافي و تأثيره على النتائج الدراسية للأبناء و تأثيره على نواحي الحياة و الأفراد دراسات مهمة و أصيلة في علم الاجتماع تبقى كمراجع و مصادر للباحثين و الطلبة المهتمين بهذا العلم.

الكلمات المفتاحية: الأسرة ; التنشئة الاجتماعية; رأس المال الثقافي.

Abstract:

The process of raising children, forming their personalities and modifying their behavior in accordance with the general civilized framework of a particular society, is an essential and important function for the family first (the parents) as it is the first place in which the child communicates Then come the rest of the institutions of social upbringing, such as the kindergarten, the school, the comradeship group, and religious institutions...

Pierre Bordeaux formulated several concepts closely related to the subject of our study and his research and studies on cultural capital and its impact on children's study outcomes and their impact on important aspects of life and individuals.

Keywords: Family; Socialization ;Cultural Capital.

مقدّمة:

تعتبر عملية تشكيل الشخصية و ضبط السلوك و نقل التراث الثقافي من أهم وظائف الأسرة فلكل منها وسطها الاجتماعي الخاص و ثقافتها الخاصة و كذا تقاليدها و كلها عوامل تؤثر في وظيفة الأسرة الأساسية و التي تتمثل في تطبيع الطفل في الإطار الحضاري العام.

و قد حظيت الدراسات التي حظي بها رأس المال الثقافي أن له أهمية بالغة في المجتمع بصفة عامة و الأسرة بصفة خاصة يظهر هذا من خلال الدراسات التي قام بها كل من العالمين بيار بورديو و باسرون حول الرأس المال الثقافي و تأثيره على النتائج الدراسية للأبناء، و كذا تأثيره على الحياة و الأفراد من نواحي متعددة سواء كانت نفسية، اجتماعية، ثقافية،...الخ و بالتالي إسهامه بشكل فعال في تكوين شخصية الفرد من جميع النواحي.

و قد عرف بورديو الرأس مال الثقافي بأنه: "مجموع التأهيلات العلمية الفكرية و الثقافية الموروثة من المحيط العائلي و القدرات و المهارات المكتسبة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية"، و هذه المكتسبات الثقافية التي يرثها الفرد من الأولين يحاول الحفاظ عليها و توريثها للأجيال اللاحقة و هذا الموروث المكتسب من جيل إلى آخر يصل عن طريق التربية و التعليم و التلقي و التقليد و المحاكاة و بالنظر لأهمية هذا الرأسمال في سير حياتنا كان لزاما من الأسرة توصيل هذا الموروث الثقافي لأبناءها بطرق بسيطة تخلو من النزاع و التعقيد تملأها روح التواصل و التفاهم من أجل الوصول إلى النتائج المرجوة.[1]

و منه فإن موضوع ورقتنا البحثية هاته ترتكز حول أهمية الأسرة و ما تقدمه من ممارسات من أجل نقل موروثها الثقافي إلى الأبناء .

المبحث الأول: الأسرة دراسة سوسيو تاريخية .

سوف نحاول خلال هذا المبحث تعريف الأسرة من وجهة نظر العديد من المفكرين و علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيا، كما سنتطرق للتطور التاريخي للأسرة و أهم المحطات التي مرت بها، كما سنتناول أهم الوظائف الأساسية المنوطة بها.

المطلب الأول: ماهية الأسرة.

للأسرة أهمية بالغة في المجتمع باعتبارها أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية أو بالأحرى المكان الأول الذي ينشأ فيه الفرد و يكتسب أدوار و مراكز تحدد له مكانته الاجتماعية، إذ تعد من أبسط أشكال البناء الاجتماعي تنوعا و تداخلا في جملة العلاقات و الأدوار و الوظائف التي غالبا ما تعرف بها، لذلك يختلف علماء الاجتماع في تعريفهم للأسرة، مما أدى إلى ظهور عدة اتجاهات في دراسة الأسرة .

و فيما يلي مجموعة من التعريفات حسب بعض الاتجاهات.

أ. **التعريف البنيوي**: يعرفها الدكتور مصطفى بوتفنوشات على أنها" منتوج اجتماعي يعكس صورة المجتمع الذي توجد فيه و الذي تتطور من خلاله فإذا اتصف المجتمع بالثبات اتصفت الأسرة بالثبات و إذا اتصف بالحراك و التطور تغيرت الأسرة بتغير ظروف هذا المجتمع"[2]

و في سياق هذا التغير و الثبات يؤكد مصطفى الخشاب تعتبر الأسرة نظاما اجتماعيا يؤثر في النظام الأسري في مجتمع ما منحلا و فاسدا فإن هذا الفساد ينعكس على وضعه السياسي و إنتاجه الاقتصادي و معاييره الأخلاقية و كذلك إذا كان النظام الاقتصادي و السياسي فاسدا فإن هذا الفساد يؤثر في مستوى معيشة الأسرة و خلقها و تماسكها.[3]

و من هذين التعريفين نستنتج أن علاقة التأثير و التأثر بين الأسرة و المجتمع هي علاقة وطيدة و راسخة في الواقع، فيصعب كثيرا دراسة و فهم المجتمع من منطق تركيبي تكويني دون اللجوء إلى دراسة و فهم طبيعة الأسرة و ميكانيزمات حراكها عبر الزمن و أن انحلال و فساد المجتمع ينجر عنه فساد هذه الأخيرة و إحلالها.

ب– **التعريف الوظيفي**: حيث يذهب كرستنسين إلى ضرورة التمييز بين الزواج و التزاوج على اعتبار أن الأول مفهوم سوسيولوجي، و الثاني مفهوم بيولوجي، و عليه فقد عرف الأسرة على أنها "مجموعة من المكانات status و الأدوار Roles المكتسبة عن طريق الزواج و الولادة"[4]

أما ميردوك فيعرف الأسرة على أنها "جماعة اجتماعية تتسم بالإقامة الجامعية و التعاون الاقتصادي ووجود الناحية التناسلية، و يوجد بين اثنين من أعضائها علاقة جنسية يعترف بها المجتمع، و تتكون الأسرة على أطفال سواء كانوا أبناء بيولوجيين أم متبنين".[5]

ج- التعريف التفاعلي الرمزي: كما يعرفها أوغست كونت August cont "النقطة الأولى التي يبدأ منها التطور، و الخلية الأولى في جسم المجتمع... و هي أول وسط طبيعي، و اجتماعي نشأ فيه الفرد، و تلقى عنه المكونات الأولى لثقافته، و لغته، و تراثه الاجتماعي".[6]

د- التعريف البنيوي: أما إميليو و و يليامز فعرف الأسرة قائلا "الأسرة هي المؤسسة الاجتماعية التي تشمل رجلا أو عددا من الرجال الذين يعيشون زواجيا مع امرأة أو عددا من النساء معهم الأبناء و أقارب آخرين و كذلك الخدم".[7]

و إذا كان الاختلاف واضحا بين العلماء في تعريف ماهية الأسرة فإن هذا الاختلاف يظهر جليا كذلك بين العلوم الاجتماعية التي تشترك في دراسة الأسرة و على رأسها الأنثروبولوجيون، علماء الاجتماع خاصة (علم الاجتماع الأسرة)، و الديمغرافيون لأن هذه العلوم تتبنى كل منها زاوية تنظر منها إلى هذه الوحدة الاجتماعية.

المطلب الثاني: التطور التاريخي للأسرة.

لقد حدد التاريخ خلال العصور المختلفة الأشكال التي مرت بها الأسرة و التي كانت عليها بصورة متتابعة إذ تعد الجماعة (الطوطمية العشيرة) Clan Totemique على أنها أقدم مظاهر الحياة الاجتماعية، و أول صورة للتنظيم الأسري في نظر علماء الاجتماع و على رأسهم إميل دوركايم، في هذه المجتمعات تكون العشيرة هي نطاق العلاقات بين الأفراد حيث تحرم عليهم الزواج فيما بينهم "فمن خلال الدراسة التحليلية للأشكال الاجتماعية توصل المفكرون إلى أن نظام العشائر الذي يعتبر من أقدم التجمعات البشرية، و هذا النظام ينطوي على ترابطات شبه أسرية، فبعضها كانت تقوم على أساس تعدد الزوجات، و بعضها الآخر على أساس الزواج الثنائي"[8]، حيث أنه لم يظهر في هذا التنظيم دور الأب و لم يكن معروفا بعد، (الطواطم فيه تنتقل في خط أفقي) و بعد ذلك ظهرت الأسرة ذات النسب الأموي، و التي ينتسب فيها الأبناء إلى أمهاتهم و لا تربطهم أي رابطة بأسر آبائهم، ثم ظهرت بعد ذلك العائلة الأكتانية (لا منقسمة) و هي التي يخجل فيها مكان النسب الأموي النسب الأبوي المحض و لكنها تحتفظ بالشكل الجماعي الموسع، و هو ما لوحظ في العائلة اللامنقسمة، أو العائلة السلافية المسماة (زدريكة ZADREGA).

و مع ظهور الحضارة الرومانية ظهر نمط جديد للأسرة و هو الأسرة التقليدية، و كانت تظم كل من الأب و الذي يملك السلطة المطلقة، و كذا الزوجة، و الأولاد المتزوجون و غير المتزوجون، إضافة إلى العبيد، و في هذه المرحلة ظهر للأب دور فكانت له السلطة و الحرية المطلقة في تزويج الفتاة و اختيار الزوجة و الاعتراف

بالطفل...الخ "فنطاق الأسرة كان خاضعا لتصرفات كبير العائلة كما أن هذا النطاق كان قائم أيضا على مصطلحات تحددها المجتمعات كالقبول و الادعاء و التبني، و الأعراف".[9]

أما الشكل الأخير هي العائلة الزواجية، و قد تكون نتجت من تقلص العائلة الأبوية التقليدية التي تأخذ منها النسب و ليس العائلة البطريكية المتميزة بالأكتانية المحضة، في هذه العائلة كل فرد من الأفراد المكونة لها له فرديته و ممارسته الخاصة و المرأة تتمتع بنفس الحقوق مع الرجل.[10]

المطلب الثالث: وظائف الأسرة.

1- تخضع وظائف الأسرة إلى تأثير التطورات الاجتماعية و الثقافية و الجارية فهي تميل في حركة تطورها تاريخيا إلى تقلص وظائفها لصالح المؤسسات الاجتماعية الأخرى، لكن رغم ذلك فقد بقيت الأسرة "المؤسسة الأولى ذات التأثير القوي في تعليم النشء، و إكسابه مجموعة القيم و العادات و التقاليد، و الأعراف من خلال عملية التنشئة الاجتماعية".[11]

و لقد بينت الدراسات الاجتماعية أن وظائف الأسرة تتلخص في المهام التالية:

- **الإنجاب و التفاعل الوجداني بين أفراد الأسرة.**
- **الحماية الجسدية لأفراد الأسرة.**
- **إعطاء مكانة اجتماعية للكبار و الصغار.**
- **التنشئة الاجتماعية و الضبط الاجتماعي.**

و يشير ويليامز أجبورن (W-ogburn) إلى ستة وظائف للأسرة هي الوظيفة: الاقتصادية، الاجتماعية، التعليمية، الوقائية، الدينية، و أخيرا وظيفة التسلية.

أ. **الوظيفة الاقتصادية:** حيث تستهلك الأسرة ما تنتجه.

ب. **الوظيفة الاجتماعية:** يستمد الأفراد مكانتهم الاجتماعية تبعا لمكانة أسرهم في المجتمع و ذلك باعتبارها البيئة الاجتماعية الأولى التي تستقبل الطفل منذ ولادته و تستمر معه.[12]

ج. **الوظيفة التعليمية:** الأسرة هي المهد الأول لتشكيل السلوك من خلال التوجيهات و النماذج التي يتفاعل معها الطفل.

د. **الوظيفة الوقائية:** تلعب الأسرة دور في الحماية الجسدية و الاقتصادي و النفسية لأفرادها.

هـ. **الوظيفة الدينية:** حيث تلقن أفرادها الصلاة و قراءة الكتب الدينية و ممارسة العبادات.

وظيفة التسلية: تلعب الأسرة: تلعب الأسرة دور ترفيهي كبير و لقد أخطر **ويليامز أجبورن (W-ogburn)** أن فقدان الأسرة لهاته الوظائف هو الذي فككها و حللها.

المبحث الثاني: العوامل الأسرية المؤثرة في التنشئة الاجتماعية.

تهدف التنشئة الاجتماعية في الأسرة الجزائرية إلى طبع سلوكات أفرادها بما يتطابق مع أهداف هاته التنشئة في نفسية الطفل، و هذا لا يكون إلا عن طريق ترسيخ نظامها التنشؤوي في نفسية الطفل، حيث تقدم لهم أهم المبادئ التربوية المراد تحقيقها و تثبيتها في ذهنه، و هذا الطبع و الترسيخ لا يكون إلا إذا توفرت مجموعة من العوامل.

المطلب الأول:المستوى الثقافي.

الثقافة هي روح التنمية و أساسها، و ليست بعدا من أبعادها، فالمنتجات التكنولوجية المتنوعة و المستوى الاقتصادي المرتفع في الدول المتقدمة و الغنية تعكس صورة ثقافية و فكرية، و نمط حياة و سلوك معين لأفراد المجتمع.[13]

لذلك سنعرض أهم المفاهيم التي تناولها "بورديو" في تحليله للرأسمال الثقافي.

أ- **بنية الاستعدادات المكتسبة:** لقد ظهر هذا المفهوم كبديل للاتجاهات الفكرية التي كانت تقتصر في تفسيرها للنجاح الاجتماعي و الفشل الدراسي على الموهبة الفطرية، و التي لا مغزى لها في الواقع السوسيولوجي، فالإنسان كائن اجتماعي لا يفهم إلا من خلال شبكة العلاقات الاجتماعية التي ينتجها مع المحيط الذي يظهر في شكل مؤسسات اجتماعية مختلفة، و من أهمها الأسرة و هي الأكثر استمرارا و تأثيرا على الاستعدادات المكتسبة الأخرى.

ب- **الرأس مال الثقافي:** يعتبر الرأس مال الثقافي من بين أهم المفاهيم الأساسية المستعملة في أعمال بيار بورديو الذي يحدده بثلاث أبعاد أو مظاهر و هي:

a. مظهر الرأس مال الثقافي المجسم(Etat incorpore): و يتخذ شكل دائم من المؤهلات، و يمثل هذا المظهر الجانب الذاتي للفرد و ما تحمله من استعدادات مكتسبة من محيطه العائلي، و الاجتماعي بصفة عامة في بعده الثقافي، مما يضفي وضع غير متكافئ و متمايز حسب الطبقات الاجتماعية، و الأصل الاجتماعي للعائلة، و يظهر عامل الزمن كمحدد أساسي في التراكمات الثقافية لدى الفرد، هذا الأخير الذي يستثمر فيها بطريقة إرادية و هادفة.

b. مظهر موضوعي مشيأ (Etat Opjectif): و يتمثل في الأشياء المرتبطة بالثقافة في شكل الكتب، و الرسومات الفنية، أو الانتماء لنمط ثقافي معرف به اجتماعيا، و التي تعتبر رمزا للأصول الاجتماعية لكل فئة، فهي تستثمر كل طاقاتها المتراكمة عبر الزمن من أجل توريثها لأفرادها، و غرس ميكانيزمات الحفاظ عليها من الأجيال لهذا فإن الرأس مال الثقافي المشيأ في بعده المادي و الرمزي قابل

للتوارث و الانتقال إلى الأجيال اللاحقة، فالعائلة تقوم بتنشئة الأجيال في هذا الجو الثقافي و الاستثماري، للمحافظة عليه، لأنه يمثل مكانتها الاجتماعية.

c. المظهر المؤسساتي (Etat Institutionnalisme): و يمثل هذا المظهر تلك الشهادات، و الألقاب العلمية التي يحوز عليها الفرد من المؤسسات التعليمية، و التي تعطي الشرعية المعرفية للرأسمال الثقافي إذ يتحول من سلطة معرفية إلى سلطة اجتماعية تتسم بقوة إجرائية، و بمشروعية مؤسساتية تحظى باعتراف الآخرين.[14]

وهذا ما يفسر الحالة الاجتماعية التي نجدها في الأسرة الجزائرية خاصة في استثمارها من أجل ضمان مستقبل دراسي ومهني للأبناء ، وتوجههم إلى شعب دراسية دون أخرى، والتي تعتبرها استثمار لرأسمالها الثقافي ، لذلك تقوم الأسر بطرق متفاوتة حسب الأصل الاجتماعي إلى نقل هذا الرأسمال من خلال التنشئة الاجتماعية على كل قيم مثالية، وأساليب تربوية وتجارب ثقافية في الوسط الأسري التي يعود إليها الفرد في تجاربه الحياتية ، وعليه فإن الرأسمال الثقافي هو الملكية التي تحدد الممارسات التي تخفي منطق اجتماعي لكل فئة اجتماعية ، فمنها من تسعى لضمان وجودها من الناحية الرمزية والعادية أي الحصول على المكانة الاجتماعية، ومنها السيطرة على الامتيازات الاجتماعية وهذا وفق استراتيجيات قد تكون في منطق خفي ومعلن، من أجل بناء أو إعادة بناء الوجود الاجتماعي للفئة الاجتماعية.

وبما أن الأسرة هي مؤسسة اجتماعية وثقافية تتغير بينتها المادية والنفسية والثقافية بتغير المجتمعات كما أنها مؤسسة فعالة لها تأثير فعال في عملية التحصيل اللغوي لأبنائها، فإن المستوى الثقافي لها والذي يتمثل في مستوى تحصيل الوالدين المدرسي، ومستوى الاستهلاك الثقافي الذي يتمثل في عدد الساعات التي تقضى في دراسة ومطالعة الكتب المختلفة في عدة مجالات ، ومطالعة المجلات، والصحف بالإضافة إلى الاهتمام بمختلف الحصص العلمية والثقافية، التي تبث في جهاز التلفزة أو الإذاعة سواء تعلق الأمر بالقناة الوطنية أو الفضائيات العالمية ينعكس على عملية تربية الأبناء وتعليمهم.

وقد بينت دراسات عديدة على مستوى تحصيل الأطفال (التلاميذ)أبناء الفئات التعليمية العليا يكون أفضل من مستوى تحصيل أبناء الفئات التعليمية الدنيا، وقد توصل إليها الباحث الفرنسي بول كليرك Paul Clerc سنة 1963 في دراسة له حول الأسرة في مستوى النجاح المدرسي بفرنسا، وذلك على عينة من تلاميذ الإعدادية، حيث يعلن أنه كان المستوى التحصيلي للعائلة متفاوت فإن نجاح الأطفال يتباين بمستوى تباين المستوى التحصيلي لأبائهم[15].

وفي هذا الخصوص يعلن كل من بيار بورديو bourdieu وبارسون Parsons في جل أعمالهما عن الدور الكبير الذي يلعبه العامل الثقافي على مستوى التحصيل المدرسي للتلاميذ.

إن الطفل(التلميذ) من تفاعله مع والديه تتكون لديه نزعة قوية للتحصيل الجيد، حتى يلتحق بالمستوى الثقافي لهما، فالمستوى الثقافي العالي للوالدين هو دافع ومحفز يدفع بالتلميذ إلى الإجتهاد والحصول على النتائج الجيدة[16]

المطلب الثاني: المستوى الاقتصادي.

I- يعتبر المستوى الإقتصادي من أحد أهم المعايير التي تقاس بها مستويات الأسر والمجتمعات، باعتباره الصورة الحقيقية التي تعبر عن الإمكانيات المادية التي تمتلكها مجموع الأسر والمجتمعات ، وقد يقاس ذلك من خلال الرواتب الشهرية أو الدخول السنوية التي يتقاضاها أفراد الأسرة ، وقد يقاس على حسب ممتلكات الأسرة من منازل أو سيارات أو عقارات ..أو من خلال الأدوات الموجودة داخل المنزل ، ويلعب الوضع المادي للأسرة دورا كبيرا على مستوى التنشئة الاجتماعية للأطفال وذلك على مستويات عديدة أهمها النمو الجسدي، الذكاء ، التكيف الاجتماعي ..الخ

أ- **الدخل الأسري:** ويقاس من خلال الرواتب الشهرية أو الدخول السنوية التي يتقاضاها أفراد الأسرة وغالبا ما تحسب نسبة الدخل بتقسيم مجموع الدخول المادية على عدد الأفراد، فالعائد المادي يختلف في الأسرة الحديثة عنه في الأسرة التقليدية التي كانت هي نفسها وحدة اقتصادية تقوم باستهلاك كل ما تنتجه، أم الأسرة الحديثة فتعتمد على دخلها في الحصول على مستلزماتها إذا فإن الدخل الشخصي أو الفردي هو العائد النقدي الذي يحصل عليه العمل في مقابل خدمات العمل أيا كان نوعها ذهنية أو يدوية أو الذي يحصل عليه صاحب المال أو صاحب الأرض[17] خلال فترة زمنية معينة، وقد يكون مالا أو ممتلكات فهو عبارة عن كل ما تمتلكه الأسرة أو تتمتع بحق التصرف فيه[18]

فالوضع الاقتصادي المنخفض للأسرة يؤثر على الأداء المدرسي والتحصيل اللغوي للأبناء ، وذلك من سوء التغذية ، وقلة الرعاية العملية هذه الوضعية تؤدي بالأطفال في كثير من الأحيان لمزاولة مهنة في أوقات فراغهم وذلك لمساعدة أسرهم مما ينعكس سلبا على أدائهم اللغوي والمعرفي ، وعليه فالدخل المحدود كثيرا ما يكون مصدر للقلق الاجتماعي لدى الأبناء، والتعاسة وفقدان الطمأنينة وإلى عدم وجود أجواء اجتماعية بين أفراد الأسرة الواحدة[19]

ب- **السكن:** يعتبر السكن نواة الاجتماع الإنساني على حد تعبير ابن خلدون ، وهذا لما له من وظائف تلبي متطلبات الإنسان المختلفة، فهو يمثل الاستقرار النفسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي ،

فيعبر عن الإمكانيات المادية التي تتمتع بها الأسرة فإذا كان يتوفر على جميع الوسائل ومجهز بجميع الأجهزة فإنها تعمل على تثقيفه ودفعه نحو الدراسة وتسهيل عملية التحصيل اللغوي.

أما إذا كان المسكن ضيق وكان حجم الأسرة كبير فإنه يعود بالآثار السلبية على النتائج الدراسية، إذ أن الاكتظاظ والضيق في المساكن وانعدام ابسط قواعد النظافة ينمي لدى الفرد والمراهق مع استعدادات وقابلية وقوة على الانحراف، ويتجسد ذلك بظواهر الرسوب والطرد المبكر من المدارس ومراكز التكوين[20]

ت- تأثير الوضع المهني للأب :

يلاحظ الباحثون وجود ترابط وثيق بين الأب ومستوى النمو العقلي عند الأطفال ، ويتمثل القانون المنظم للعلاقة بين المهنة وحاصل الذكاء في أن حاصل الذكاء يرتفع تدريجيا كلما تم الصعود في السلم المهني للأب، ومن أهم الدراسات التي أجريت في هذا المجال البحث الذي أشرف عليه المجلس الإسكوتلاندي للبحوث التربوية الذي تناول عينة واسعة قدرت ب70 ألف طفل وقد تم توزيع هؤلاء الأطفال وفقا للفئات المهنية لأبائهم وقد تبين أن 66% من أبناء أساتذة الجامعة والمهن الحرة ينتمون إلى فئة الأطفال الأذكياء مقابل 10% من أبناء العمال المهنيين غير المؤهلين

وقد بينت الدراسة التي أجراها د. علي أسعد وطفة ود. علي جاسم الشهاب في فرنسا سنة 1988 حول اللامساواة الاجتماعية في التعليم العالي الفرنسي أن الالتحاق بالجامعة والنجاح فيها واختيار الفروع العلمية الهامة (الطب والهندسة) أمور مرهونة إلى حد كبير بالانتماء الاجتماعي للطلاب وقد توصلا إلى النتائج التالية:

- أبناء الفئات المهنية العليا (أطر عليا ومهن حرة) أكثر التحاقا وتواجدا في الجامعة من أبناء الفئات المهنية الدنيا (عمال ومزارعون)

ث- العلاقة السيكولوجية داخل الأسرة:

إن التكيف مع الحياة الأسرية والصلات بين الآباء والأبناء وتوفر عامل التفاهم والاستقرار بين أفراد الأسرة ، عامل يؤدي إلى خلق استقرار نسقي للطفل، وبالتالي يكون ذو فعالية كبيرة في القيام بواجباته خاصة المدرسية ، وهذا ما ينعكس في نتائجه التحصيلية ، فوجود علاقات ناجمة عن الحوار والنقاش بين الأب والأم وبين الأبناء ، وهذا التفاعل ناتج عن عامل التفاهم والاحترام يجعل الأسرة تعيش في جو هادئ مستقر مما ينعكس على الناحية النفسية لأفراد الأسرة ولاسيما الطفل فيكون مهتم بدراسته خاصة إذا كان مراقب من قبل الوالدين وكذا الإخوة الكبار إذ وجدوا، في حين إذا كانت الأسرة تعيش مشاكل تؤثر على العلاقات السيكولوجية بين أفرادها فتصبح في مرحلة الاستقلال وبالتالي يكثر الاضطراب والانفعال خاصة

لدى الطفل، وهذا ما يؤثر على نتائجه الدراسية حيث يصبح مهمل وغير مهتم ولا يركز كما أنه يصبح فرد فوضوي، كما توجد حالات أخرى أكثر خطورة متواجدة في الواقع لاسيما سلوكات الأطفال الذين تشردوا من منازلهم بسبب مشاكل بين الوالدين ، والتي أدت إلى حدوث ظاهرة الطلاق، مما أوجد الطفل نفسه في وضع غير مرغوب فيه، وبالتالي فضل الشارع عن البيت، فكانت النتيجة سلبية حيث يتعلم عدة سلوكات لا حضارية وسلوكات منحرفة كالسرقة والإدمان على المخدرات والتسول.

ج-حجم الأسرة ودرجة الإنفاق:

يذهب كثير من الباحثين اليوم في مجال علم الاجتماع التربوي إلى الاعتقاد بأن الطلب التربوي من قبل الأسرة يتم عبر مفاهيم التوظيف والاستثمار، وبالتالي فإن الأسر الميسورة تستطيع أن تمول دراسة أبنائها وتحصيلهم ، وكذا إضافة ساعات دراسية خارج المدرسة من أجل تحقيق مزيد من النجاح والتفوق

وتشير الدراسة التي قام بها المعهد العالي في هينو بفرنسا على 620 طالب التي أجريت من أجل تحديد مستوى الذكاء وفقا لمستوى دخل الأسرة ، ووجد أن هناك علاقة قوية بين المستوى الاقتصادي للأسرة وحاصل الذكاء ، حيث بلغ متوسط الفروق المئوية للمتوسطات بين أبناء الفئة الميسورة والفئة الفقيرة 37 نقطة وهي (200) نقطة لصالح أبناء الفئة الميسورة و170 نقطة عند أبناء الفئة الفقيرة ، وقد بلغ هذا التباين 85 نقطة في اختبار القراءة ، و 96 نقطة في اختبار الإملاء و 45 نقطة في الحساب، وقد بينت الدراسة نفسها أن الأطفال الذين يتعرضون للرسوب هم في الأغلب من أبناء الفئات الفقيرة لأنها تدفع أبناءها إلى سوق العمل في مراحل مبكرة من حياتهم، وقبل إتمام دراستهم وفي هذا الصدد يذهب المفكر الأمريكي إيليتش إلى الاعتقاد بأن اللامساواة المدرسية تتبع من اللامساواة الاقتصادية بشكل مباشر ، ويؤكد على هذه الفكرة أيضا المفكر الفرنسي بيار بورديو حيث يذهب بأن العامل الإقتصادي للأسرة يلعب دورا محددا على مستوى نجاح أبنائها

ويرى جاك هلاك في هذا السياق أيضا أن الأسرة توفر بعضا من دخلها في عملية التربية والتعليم، وذلك من شأنه أن يعطي للأطفال الذين ينحدرون من أسر غنية ، لهم فرص أفضل في متابعة تحصيلهم المدرسي والعلمي.

ح-الطموحات:

لا يمكن أن تتكون الطموحات بمعزل عن حركية المجتمع ككل ، فهي ترتبط بدرجة كبيرة بالنظام الاقتصادي السائد، وبإطاره الثقافي العام، وفي هذا الصدد يقول شومباردولو أنه عندما تتجه الرغبة نحو الشيء يصبح طموحا ، وبالتالي يقيم هذا الشيء حسب نظام القيم الخاص بالمجتمع أو المحيط أو الجماعة

فالطموح يرتبط بصورة واضحة بسلم القيم والتغيرات التي تطرأ عليه ، فكلما تغيرت القيم تغيرت الطموحات وعليه فإن كل ثقافة في أي مجتمع كان أو طبقة اجتماعية تشكل إطار يستمد منه الفرد سلوكه والدور المتوقع منه.

وقد تتدخل عدة عوامل في الطموحات ، وهو ما يعرف بمفهوم الرأسمال الاقتصادي ، والمحدد في جملة من المؤشرات الاجتماعية مثل المكانة الاجتماعية ونوع العمل الذي يمارسه الأولياء أو الجماعة التي تنتمي إليها الفرد وكذلك المداخيل كمحاولة لإعادة الإنتاج خاصة مع الظروف الاقتصادية التي يمر بها المجتمع الجزائري، خاصة فيما يخص اختلال سوق العمل مع التكوين الجامعي، الذي لا يمكن أن يطمح فيه الشباب بتحقيق مهنة مستقبلية.

إضافة إلى ذلك تأثير العامل الجغرافي لا يمكن فصله عن تأثير العوامل الأخرى كالدينية والثقافية ، ولكن غالبا ما يكون هذا التأثير نسبي وهذا ما نلاحظه من خلال استنطاقنا للواقع السوسيوتاريخي في تأثيره للطموحات ، حيث كان التلاميذ الجزائريين في السبعينات يطمحون أن يكونوا معلمين ، مهندسين ..الخ أما اليوم فأنهم يطمحون أن يهاجروا إلى إحدى الدول الأجنبية، أو على الأقل الحصول على شهادة السفر والعمل وتحقيق طموحاته.

ولا يمكن تجسيد واقع الطموحات كظاهرة اجتماعية في الواقع السوسيولوجي للأسرة الجزائرية بصفة عامة، إلا من خلال الدلالات الاجتماعية له، وهي المتابعة والتوجيه الوظيفي والمهني والدراسي للأبناء، وهذا لنجاح أبنائهم لأن العائلة الاجتماعية تعتبر نجاح الابن هو نجاح العائلة بالدرجة الأولى وكلما ارتقى الابن في سلمه التعليمي كلما كان تقدمه وتتبعه يؤخذ من طرف العائلة إذ أن فشل الأبناء.. وقد يعتبر عند بعض العائلات حدث صادم ومؤلم للآباء أكثر من الشباب أنفسهم[21].

خاتمة:

تتضمن ثقافة الأسرة مجموعة من العناصر يمكن حصرها في(اللغة، القيم، الدين،الرموز، المعايير، العادات و التقاليد) و من أجل الحفاظ على هذه الثقافة و بقائها يجب، نقلها و توريثها من جيل إلى جيل و تعليمها و تلقينها للأبناء إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، و هذا لا يتم إلا من خلال التفاعل الاجتماعي المستمر بين الأسرة و الأبناء بهذا تتحقق عملية التطبيع الاجتماعي المنطوية على اكتساب الأبناء السلوك الاجتماعي السائد و المتبع داخل المجتمع و الذي يتضمن المسموح ممارسته و الممنوع ممارسته.

الهوامش:

[1] . بيار بورديو، أسئلة في علم الاجتماع، ترجمة: عبد الجليل إكور، دار تويقات للنشر، المغرب،1997، ص 55.

[2] - Boutefnouchet Mustapha , La famille algérienne, évolution et caractéristique, Alger, SNCD, 1980,p 19.

[3] – الخشاب مصطفى، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار النهضة العربية للطباعة و النشر، 1981، ص 34.

[4] – عبد الباسط محمد الحسن، علم الاجتماع الصناعي، مكتبة الأنجلو مصرية، مصر، 1972، ص 561

[5] – ناصر ثابت، دراسات في علم الاجتماع التربوي، دار المعرفة الجامعية، بيروت، 2006، ص 8.

[6] – زيدان عبد الباقي، الأسرة و الطفولة، مكتبة النهضة العربية المصرية، مصر، 1980، ص 7.

7 - Emilio Williams, Dictionnaire de sociologie, et M.Riviere, Paris, 1970, p 106.

[8] – الخشاب مصطفى، دراسات في علم الاجتماع العائلي، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط 2، 1984، ص 50.

[9] – الخشاب مصطفى، المرجع نفسه، ص 52.

[10] – مصطفى بوتفنوشات، العائلة الجزائرية، التطور و الخصائص، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص 20.

[11] – علي أسعد وطفة، علم الاجتماع التربوي، جامعة دمشق للنشر و التوزيع، دمشق، 1993، ص 75.

[12] – جعفر عبد المير الياسين، أثر التفكك العائلي في جنوح الأحداث، عالم المعرفة، بيروت لبنان، 1981، ص 16.

[13] – بيار بورديو، دج فاكونت، أسئلة علم الاجتماع في علم الاجتماع الانعكاس، تر: عبد الجليل الكور، دار توبقال للنشر، المغلاب، 1997، ص 157.

14 - Pierre bourdieu, les trois états du capital culturel, act de recherche en science n° 30, Paris, 1979.

[15] – علي أسعد وطفة ، علي جاسم الشهاب، علم الاجتماع المدرسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط1، 2004، ص144

[16] – ميخائيل إبراهيم أسعد ، مشكلات الطفولة والمراهقة ، دار الأفق الجديدة ، بيروت، ط2، 1991، ص 164

[17] – إحسان البقلي ، دورية أمين ، التخطيط والإدارة في الاقتصاد المنزلي ، دار الجيل للطباع، القاهرة، 1964، ص84

[18] – حسين عمر، الموسوعة الاقتصادية، دار الفكر العربي، القاهرة ، ط4، 1992، ص 66

[19] – معتز الصابوني، علم الاجتماع التربوي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، ب س، ص75

[20] – يوسف ميخائيل أسعد ، رعاية المراهقين ، مكتبة غريب، القاهرة، ط1، ب س ، ص 84

21 - Mustapha Boutefnouchent , Système social et changement sicial en algérie, OPU,Alger , 1985, p156